جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

المرحلة : الثانية

المادة : تاريخ البلاد العربية في العهد العثماني

عنوان المحاضرة : السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي

اسم التدريسي : م . وجدي حسين علي

الايميل الجامعي للتدريسي : wajdyhussein١٩٧١@tu.edu.iq

السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي :

لقد ابقى السلطان سليم الأول بعد انتصاره في موقعة جالديران سنة ١٥١٤م فرهاد باشا احد قواده لاكمال احتلال الولايات المتاخمة للحدود العثمانية . وقد امر فرهاد باشا بيقلي محمد باشا بالسيطرة على ماردين والرها والرقة والموصل وسنجار وتلعفر وجزيرة ابن عمر والعمادية واربيل وكركوك وقد تم احتلالها سنة ١٥١٥م. غير ان الحكم العثماني ، في هذه المناطق ظل قلقا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين انذاك.

اما العراق الأوسط والجنوبي فقد بقي تحت الاحتلال الفارسي . وقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال التي اتبعها المحتلون الفرس . فقد كثرت الأوبئة واهملت مشاريع الري وظل نظام الاراضي يعاني كثيرا من الفوضى قام السلطان سليم الأول باعداد حملة لاحتلال العراق وطرد الفرس الصفويين ولكن المنية عاجلته سنة ١٥٢٠م. وعندما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش (١٥٢٠ - ١٥٦٦) وضع في منهاجه توجيه ضربة قوية إلى الدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق والذي يمكن ان تتخذه الدولة العثمانية فيما بعد كقاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي تعزيزا لجهودها في مواجهة البرتغاليين في البحرين الأحمر والعربي .

لقد حاول السلطان سليمان القانوني في بداية الأمر تنفيذ احتلال العراق باستمالة بعض حكامه المحليين. ولكن هذه الخطوة كانت سببا في جعل العراق ساحة للصراع العثماني الفارسي وكاد السلطان سليمان القانوني يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين اعلن ذو الفقار بيك بن علي بيك نفسه حاكما على بغداد وعزل عمه ابراهيم خان موصلو . وتقرب من العثمانيين واظهر الولاء لهم بعد ان بعث برسالة إلى السلطان سليمان القانوني بذلك الا ان الشاه طهماسب الأول الذي تولى الحكم بعد ابيه اسماعيل سنة ١٥٢٤م قام بهجوم كبير على بغداد سنة ١٥٣٠م وتمكن من قتل ذو الفقار واخماد حركته واعادة العراق إلى الحكم الفارسي ثانية شجعت هذه الاحداث العثمانيين على ان يتولوا بانفسهم السيطرة على العراق، ففي سنة ١٥٣٤ م تحرك السلطان سليمان القانوني بجيش كبير منجها نحو تبريز فوصل إلى سلطانية في ١٣ تشرين الأول وكانت الجيوش الفارسية تنسحب من امامه مرحلة بعد اخرى حتى وصل إلى همدان وعبر جبال زاكروس وتوجه غربا نحو بغداد .
اما الحامية الفارسية فيها فقد انسحبت عند سماعها بانباء وصول الجيش العثماني .. وهكذا دخل السلطان سليمان القانوني بغداد في ٣٠ كانون الأول سنة ١٥٣٤م دون ان يواجه مقاومة اقام السلطان سليمان القانوني في بغداد اربعة اشهر عمل خلالها على طمأنينة السكان وتحقيق الاستقرار وتنظيم الادارة والضرائب . فقد ارسل محمد باشا إلى الموصل لتثبيت الحكم العثماني المباشر عليها ووافق على تعيين الشيخ راشد بن مغامس امير البصرة العربي واليا عليها شريطة ان يكون تابعا لباشا بغداد . ثم عين حاكم ديار بكر السابق سليمان باشا الطويل اول وال عثماني في بغداد .

اصبح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني مقسما الى خمس مناطق ادارية عرفت بالايالات وهي ايالة البصرة وايالة الموصل وايالة الاحساء وايالة شهرزور. وقد اعقب احتلال العراق امتداد النفوذ العثماني الى منطقة الخليج العربي اذا صارت البصرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها سنة ١٥٤٦ القاعدة الثانية بعد السويس الارسال الحملات البحرية ضد البرتغالين وقد بدأ الصراع السافر بين العثمانيين والبرتغاليين حوالي سنة ١٥٥٠ عندما اعلن اهالي القطيف انهم لا يدينون بالولاء لحاكم هرمز حليف البرتغالين وانهم يفضلوا الدخول في حماية العثمانيين. وقد اسرع البرتغاليون لافشال مطمح سكان القطيف واعادة الاوضاع الى سابق عهدها .

ولقد ارسل السلطان العثماني سنة ١٥٥١ م قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سفينة لتهدئة اوضاع عدن الثائرة ضد العثمانيين ولكسر الطوق البرتغالي على التجارة في الخليج العربي حاصر بيري بك هرمز مدة شهر كامل ، الا ان تحصيناتها القوية التي انشأها البرتغاليون خلال وجودهم منذ اربعين سنة حالت دون سقوطها فاضطر الى التراجع نحو البصرة بثلاث سفن فقط تاركا بقية اسطوله في مضيق هرمز خوفا من تقدم اسطول برتغالي قوى نحوه واحتمال غلق المضيق بوجهة . وقد اعدم بيري بك في استانبول بعد ان وجهت اليه تهمة الفشل في تحقيق اهداف العثمانيين في الخليج العربي وتشويه سمعة البحرية العثمانية.

وقد واصل العثمانيون جهودهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي فأسندت قيادة الاسطول البحري في مصر سنة ١٥٥٣م الى سيدي علي الذي كانت له سمعة طيبة بسبب جهوده في البحر المتوسط. وقد وصل سيدي على البصرة لم تسلم من الوالي العثماني هناك خمس عشرة سفينة واقلع سنة ١٥٥٤م متوجها الى هرمز وهناك اصطدم باسطول برتغالي قوى يتألف من اربع وثلاثين سفينة ، وبسبب اطلاقات مدافع البرتغاليين والرياح المعاكسة القوية اندفع الاسطول العثماني دون خطة باتجاه السواحل الهندية . وفي ميناء سورات تفرق اعوان سيدي علي وتركوا ما لديهم من سفن وساروا في الطريق البري عائدين الى البصرة ، فاضطر سيدي علي الى بيع السفن وارسال اثمانها الى استانبول.

وبعد حملة سيدي علي ارسلت الى الخليج العربي بضع حملات عثمانية ، الا انها لم تنجز اكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة ١٥٥٩م ولمسقط سنة ١٥٨١م وفي كلتا الحالتين اجبرتها الاساطيل البرتغالية على الانسحاب. ان الحملات العثمانية المتوالية ، بالرغم من عدم تكللها بالنجاح التام الا انها ساهمت ، بشكل او بآخر في اضعاف شوكة البرتغاليين في الخليج العربي لم يعد الطوق الذي فرضوه محكما على انه لم يتحقق التخلص من النفوذ لبرتغالي نهائيا الا على يد عرب الخليج انفسهم و ولقد ساعد خضوع البرتغال العرش الاسباني بين سنتي ١٥٨٠ - ١٦٤٠م ووصول الانكليز والهولنديين لى الخليج العربي على اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم في الخليج العربي لكن نمو قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين من المنطقة . لقد ظهرت دولة اليعاربة في عمان سنة ١٦٢٤ م وتولت مسؤولية صراع ضد البرتغاليين ونجحت في عهد

حكامها الأوائل وخاصة ناصر ن مرشد ١٦٢٤ - ١٦٤٩م وسلطان بن سيف ١٦٤٩ - ١٦٦٨م في القيام حركة تحريرية كبرى لم تقتصر على مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج او واحل الجزيرة العربية ، وانما امتدت الى قواعد البرتغاليين وقلاعهم الهند وفي سواحل شرق افريقيا . فتحررت صحار ومسقط . وكان ميناء
كنجان الصغير على الشاطىء الشرقي للخليج العربي اخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة ١٦٩٥ ان اسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحا تاما في كفاحهم ضد البرتغاليين يمكن ان يعزي إلى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم باعمال تعسفية ازاء السكان العرب بالرغم من تعاونهم مع العثمانيين في جهودهم الحربية المناهضة للبرتغاليين . بالاضافة الى ذلك فان الاسطول العثماني في القرن السادس عشر كان مؤلفا من سفن صغيرة غير قادرة على التأثير الفعال ضد السفن المحيطية الكبيرة .
يضاف الى ذلك صعوبة تجهيز وادامة اسطول عثماني تكفي قوته لمواجهة الاساطيل الاوربية في البحر المتوسط والمحيط الهندي في الوقت نفسه ، وذلك لانشغال الدولة العثمانية في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين ومهما يكن من امر ، فان من نتائج الصراع العثماني - البرتغالي قدرة العثمانيين في المحافظة على الاماكن المقدسة الاسلامية وطريق الحج وكذلك حماية الحدود الاسلامية البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر. كما ان البرتغاليين برغم ما بذلوه من جهود لم يستطيعوا قطع الطرق التجارية التي تربط الهند واندنوسيا بالشرق الادنى عبر الخليج العربي والبحر الاحمر .

فقد استمرت عمليات تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوربيين في اسواق حلب والقاهرة واستانبول وبورصة ، وفي سنة ١٥٥٤م على سبيل المثال اشترى البندقيون وحدهم سنة الاف قنطار القنطار ياوي ١٠٠ كغم من التوابل في الاسكندرية. وفي الوقت نفسه كانت تصل الى ميناء جدة في كل سنة حوالي عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية كالتوابل والاصباغ والانسجة كما ان مشتريات البندقيين السنوية من التوابل البالغة ١٢ الف قنطار بين سنتي ١٥٦٠ و ١٥٦٤ م هي نفس الكمية التي كانوا يشترونها قبل اكتشاف فاسكودي غاما للطريق البحري الجديد المؤدي إلى الهند .